الرّدّ على من أجاز تهذيب اللحية

تأليف
الفقير إلى الله تعالى
حمود بن عبد الله بن حمود التويجري
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

التوزيع
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي

الطبعة الثالثة
١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م

الناشـــــر
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
١٤ ش سويلم متفرع من ش الهرم - خلف مسجد الانصار
الطلبية - الهرم - ت : ٨٦٨٦٠٥

فهرس

الرد على من أجاز تهذيب اللحية | الصفحه

تم الفهرس بحمد الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد رأيت مقالا لبعض ذوى الجهل والجراءة نشرته جريدة السياسة الكويتية فى عددها ٥٦٢٦ الصادر فى يوم الثلاثاء ١٦ رجب سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ١٩٨٤/٤/١٧ م تحت عنوان « مبايعة الموظفين » وقد ملأ الكاتب مقاله بالأباطيل والتقوّل على رسول الله ﷺ .

فمن ذلك قوله : إن اللحية رمز عربى وليست من الإسلام فى شىء .

والجواب أن يقال : هذا زعم باطل مردود لأن إعفاء اللحية سنة ثابتة عن النبى ﷺ من قوله وفعله . وقد جاء فى ذلك أحاديث كثيرة .

منها ما فى الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى » هذا لفظ البخاري ، ولفظ مسلم : « أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » وفى الصحيحين أيضاً عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « خالفوا المشركين وفّروا اللحى وأحفوا الشوارب » وروى مالك فى الموطأ ومسلم وأبو داود والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ « أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس » ورواه الإمام أحمد مختصراً ولفظه : « قصوا الشوارب وأعفوا اللحى » ورواه البخارى فى التاريخ الكبير ولفظه أن النبى ﷺ قال : « كانت المجوس تعفى شواربها وتحفى لحاها فخالفوهم فجزوا شواربكم وأعفوا لحاكم » وروى البزار عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « خالفوا المجوس جزوا الشوارب وأوفرواللحى » وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ذكر رسول الله ﷺ المجوس فقال : « إنهم يوفون سبالهم

ويحلقون لحاهم فخالفوهم » ـ السبال هو الشارب ـ

والأحاديث فى الأمر بإعفاء اللحى وإحفاء الشوارب كثيرة جداً ، وروى الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية » الحديث .

قال الخطابى : فسر أكثر العلماء الفطرة فى هذا الحديث بالسنة ، وتأويله أن هذه الخصال من سنن الأنبياء الذين أمرنا أن نقتدى بهم لقوله سبحانه : ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ وفى سنن النسائى عن طلق بن حبيب قال : « عشر من السنة » وذكر منها قص الشارب وتوفير اللحية ، وروى ابن إسحاق وابن جرير عن يزيد بن أبى حبيب أن رجلين من المجوس دخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال : « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا : أمرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال رسول الله ﷺ : « لكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقص شاربى » .

وقد جاء فى أحاديث كثيرة أن رسول الله ﷺ « كان كث اللحية » وفى بعضها أنه « كان ضخم اللحية » وفى بعضها أنه « كان عظيم اللحية » وفى بعضها « أن لحيته قد ملأت نحره » . وفى هذه الأحاديث وما تقدم قبلها من الأحاديث الصحيحة أبلغ رد على من زعم أن اللحية رمز عربى وليست من الإسلام فى شىء . وقد قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كانَ لكُم فى رَسُولِ اللّه أُسْوَةٌ حسنَةٌ لمَنْ كانَ يَرْجُو اللّه واليَوْم الآخر ﴾ وقال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

وإذا علم أن إعفاء اللحية ثابت عن النبى ﷺ من قوله وفعله وأنه من هديه الذى هو خير الهدى فليعلم أيضاً أن إعفاءها من سنن الأنبياء والمرسلين وهديهم وقد قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ والأمر فى هذه الآية الكريمة عام لجميع الأمة لأنهم تبع لنبيهم محمد ﷺ . وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « أنا أشبه ولد إبراهيم به » متفق عليه من حديث أبى

هريرة رضى الله عنه ، وفى الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم » وفى رواية لأحمد : « نظرت إلى إبراهيم فلم أنظر إلى أرب منه إلا نظرت إليه منى حتى كأنه صاحبكم » وهذا يدل على أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان ذا لحية عظيمة تشبه لحية رسول الله ﷺ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن من رغب عن إعفاء اللحية ففيه من سفه النفس بقدر ما رغب عنه من ملة إبراهيم .

وقد روى البيهقى فى « دلائل النبوة » عن هشام بن العاص الأموى قال : بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ـ فذكر القصة بطولها وفيها أن هرقل أراهم صور الأنبياء فى خرق من حرير فذكر فى صفة نوح عليه الصلاة والسلام أنه كان حسن اللحية . وفى صفة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه كان أبيض اللحية . وفى صفة إسحاق عليه الصلاة والسلام أنه كان خفيف العارضين . وفى صفة يعقوب عليه الصلاة والسلام أنه كان يشبه أباه إسحاق ، وفى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان شديد سواد اللحية ، وقال ابن كثير : إسناده لابأس به . وقد رواه أبو نعيم الأصبهانى فى « دلائل النبوة » من طريق أخرى ، وقال فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام : إنه كث اللحية . وقال فى صفة هارون عليه الصلاة والسلام : إنه كان يشبه موسى . وقد جاء فى بعض الروايات فى حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ رأى هارون فى السماء الخامسة وقال فى نعته : « نصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها » ، رواه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما والبيهقى فى « دلائل النبوة » من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . وقد أخبر الله تعالى عن هارون أنه قال لأخيه موسى : ﴿ يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ﴾ فدلت الآية الكريمة على أنه كان ذا لحية طويلة يتمكن موسى من الأخذ بها . وفى هذه الآية

الكريمة وماذكر قبلها من صفات الأنبياء المتقدمين أبلغ رد على من زعم أن اللحية رمز عربى وليست من الإسلام فى شىء . والأنبياء كلهم على دين الإسلام وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم . وقد كان أهل الكتابين فى زمن الجاهلية يعفون لحاهم متابعة لما كان عليه الأنبياء المتقدمون ، وكذلك كان العرب فى زمن الجاهلية فإنهم كانوا يعفون لحاهم وذلك مما تمسكوا به من ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أشياء تمسكوا بها من أفعال الحج وغيره ، ولم يكن حلق اللحى معروفاً فى زمن الجاهلية إلا عن المجوس وقد أمر النبى ﷺ أمته بمخالفتهم ونهاهم عن التشبه بهم والتزيى بزيهم .

والمقصود هنا بيان أن إعفاء اللحية ليس رمزاً عربياً كما زعم ذلك صاحب المقال الباطل ، وإنما هو سنة من سنن الأنبياء والمرسلين وصفة من صفات المتمسكين بالسنة من المسلمين ، وأما حلق اللحية وقصها فهو رَمز للمجوس ولمن يتشبه بهم من المسلمين وغير المسلمين ، ولا يضر المسلمين كون الهندوس وغيرهم من الكفار يبالغون فى إعفاء اللحى فإن ذلك معدود من تشبههم بالمسلمين إما قصداً وإما اتفاقاً وهم فى هذه الحالة أحسن من المجوس الذين يحلقون اللحى ويمثلون بها ويخالفون هدى الأنبياء المرسلين .

فصل

وقد حكى ابن حزم الإجماع على أن قص الشارب وإعفاء اللحية فرض ، وفيما حكاه من الإجماع أبلغ رد على من زعم أن اللحية ليست من الإسلام فى شىء وقد قال أبو عمر بن عبد البر وشيخ الإسلام ابن تيمية : يحرم حلق اللحية ، وقال ابن عبد البر ولا يفعله إلا المخنثون من الرجال انتهى ، والمخنثون هم المتشبهون بالنساء ، وقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال » وروى الإمام أحمد أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ

يقول : « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال » والأحاديث في لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال كثيرة .

فصل

قال صاحب المقال الباطل : وكان للنبي ﷺ لحية ولم يطلقها بعد الإسلام .

والجواب أن يقال : إن النبي ﷺ قد وفر لحيته وكانت كثة ضخمة عظيمة كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ كث اللحية » وقال ابن منظور في لسان العرب : لحية كثة وكثاء كثرت أصولها وشعرها وأنها ليست بدقيقة ولا طويلة وفيها كثافة ، وقال ابن دريد لحية كثة كثيرة النبات انتهى .

وروى الإمام أحمد أيضاً والحاكم في مستدركه عن علي رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية » قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه ، قال الجوهري وابن منظور في لسان العرب : الضخم الغليظ من كل شئ . وكذا قال صاحب القاموس ، والمراد بضخامة اللحية عظمها لما رواه عبد اللهابن الإمام أحمد في زوائد المسند بأسانيد جيدة عن علي رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ عظيم اللحية » وروى الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية » وروى النسائي عن البراء رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ كث اللحية » وروى الترمذي في الشمائل والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان والآجري في كتاب الشريعة عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ كث اللحية » وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه نعت رسول الله ﷺ فذكر من صفته أنه كان كث اللحية ، وروى الحاكم في مستدركه وصححه والبيهقي والآجري أن أم معبد الخزاعية قالت في نعت رسول الله ﷺ : وفي لحيته كثاثة .

وفى هذه الأحاديث أبلغ رد على من افترى على رسول الله ﷺ وزعم أنه لم يطلق لحيته بعد الإسلام .

فصل

وزعم صاحب المقال الباطل أن اللحية لا تعنى فى الإسلام شيئاً مميزاً للمسلم .

والجواب أن يقال : بل إن فى إعفاء اللحية تمييزاً بين المسلم المطيع لأمر الرسول ﷺ بإعفاء اللحية وبين العصاة المخالفين لأمر النبى ﷺ بإعفاء اللحى ومخالفة المجوس الذين يحلقون لحاهم وقد قال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

فصل

وقال صاحب المقال الباطل : كل ما فى الأمر أن النبى ﷺ كان يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها فقال : « حفوا الشوارب وأكرموا اللحى » أكرموها بمعنى هذبوها رتبوها امشطوها وليست بمعنى أطلقوها لأنها مطلقة أصلاً .

والجواب أن يقال : أما قوله : إن النبى ﷺ كان يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها ، فهو من الافتراء على النبى ﷺ وقد تواتر عنه ﷺ أنه قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وقد كان النبى ﷺ يأمر بإعفاء اللحية وتوفيرها وينهى عن التشبه بالمجوس الذين كانوا يحلقون لحاهم ، وكان ﷺ كث اللحية ضخمها عظيمها قد ملأت نحره ، وروى عنه ﷺ أنه كره النظر إلى المجوسيين اللذين دخلا عليه وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما وأنه أنكر عليهما ، فهل يقول عاقل بعد هذا إن النبى ﷺ كان يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها ، كلاّ لا يقول ذلك من له أدنى مسكة من عقل . وما كان النبى ﷺ يأمر بإعفاء اللحية وتوفيرها وهو مع ذلك يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها ، وما كان يعفى لحيته حتى كانت كثة ضخمة عظيمة وهو مع ذلك يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها . وما كان ينهى عن التشبه بالمجوس الذين يحلقون لحاهم ويكره النظر إليهم وهو مع ذلك يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها . وعلى هذا فمن زعم أن النبى ﷺ كان يكره رؤية اللحية الكثة ويتضايق منها فقد نسبه إلى التناقض الذى يتنزه عنه آحاد العقلاء فكيف بالنبى ﷺ الذى هو أعقل بنى آدم على الإطلاق فهو أحق بالتنزيه عن التناقض وعن كل ما لا يليق بالعقلاء . ومن ظن به شيئاً من التناقض فقد ظن به ظن السوء وذلك من قواطع الإسلام .

وقد تقدم فى القصة التى رواها أبو نعيم فى « دلائل النبوة » أن موسى عليه الصلاة والسلام كان كث اللحية وأن هارون كان يشبهه ، وجاء فى بعض أحاديث الإسراء أن رسول اللّه ﷺ رأى هارون فى السماء الخامسة وقال فى نعته : « نصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من

طولها » رواه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما والبيهقى فى « دلائل النبوة » من حديث أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه ، وقد جاء فى الصحيحين وغيرهما أن رسول اللّه ﷺ لما مر على هارون وهو فى السماء الخامسة سلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم لما مر على موسى وهو فى السماء السادسة سلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم لما رجع من عند ربه وقد فرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال له موسى ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فلم يزل يتردد بين ربه وبين موسى حتى جعلها اللّه تعالى خمس صلوات . ولم يذكر عنه ﷺ أنه تضايق من النظر إلى لحية موسى الكثة ولا إلى لحية هارون الكثة الطويلة جداً ولا أنه كره النظر إليهما .

وأما قوله : إن النبى ﷺ قال : « أكرموا اللحى » .

فجوابه أن يقال : هذا من التقوّل على النبى ﷺ فإنه لم يرو عنه أنه قال ذلك . وإنما الثابت عنه أنه قال : « اعفوا اللحى » وفى رواية : « وفروا اللحى » وفى رواية : « أرخوا اللحى » وفى رواية : « أوفوا اللحى » .

وأما قوله : إن معنى أكرموا اللحى هذبوها ورتبوها وليس بمعنى أطلقوها لأنها مطلقة أصلاً فجوابه أن يقال : لو كان قوله أكرموا اللحى ثابتاً عن النبى ﷺ لما كان معناه هذبوها ورتبوها إنما معناه أعفوها ووفروها كما جاء ذلك فى الأحاديث الثابتة عن النبى ﷺ . فإكرام اللحية لا يكون بالأخذ منها كما زعم ذلك الكاتب وإنما يكون بإعفائها وتوفيرها وعدم التعرض لها بالحلق أو القص أو النتف .

وأما قوله : وليست بمعنى أطلقوها لأنها مطلقة أصلاً .

فجوابه أن يقال : إنما تكون اللحية مطلقة إذا أعفيت ووفرت ولم يتعرض لها بالحلق ولا بالقص ولا بالنتف ولا بالتهذيب والترتيب ، ومن زعم أنها تكون مطلقة مع التهذيب والترتيب أو مع الحلق أو القص أو النتف فقد جمع بين النقيضين وهذا هو ما وقع فى كلام الكاتب .

فصل

قال صاحب المقال الباطل : وكان ﷺ يرتاح للوجوه النضرة واللحية المهذبة ويرعبه شكل الإنسان المشوه ، ولا أبلغ من قول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم في سورة الكهف حينما بعث الله أهل الكهف وكان شكلهم مرعباً لطول أظفارهم وكثافة لحاهم قال تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ شكلهم المخيف بسبب لحاهم التي غطت وجوههم وأظفارهم التي وصلت إلى الأرض ، وليس لسبب آخر فهم بشر وطولهم متوسط ، لذا بقيت صورة الرعب هذه في ذهن النبي ﷺ فكان كلما رأى من هو كث اللحية تذكر شكل أهل الكهف ، ولم يستطع ﷺ صبراً على ذلك وقال ذلك الحديث المشهور الذي اعتقد جهلة الناس أن كثافة اللحية تعني الإسلام فقط وتعني السلف الصالح وتعني المسلمين الأوائل وتعني أن من لا لحية له مارق زنديق ، ولكي تثبت إسلامك عليك بإطلاق لحيتك . وهذا قشر واهٍ يتمسك به جهلة المفسرين .

والجواب عن هذا من وجوه : أحدها : أن يقال : إن صاحب المقال الباطل قد خبّط في هذه الجملة غاية التخبيط وأتى فيها بخمسة أشياء من كبائر الإثم . أحدها : الافتراء على النبي ﷺ حيث زعم أنه كان يرتاح للوجوه النضرة واللحية المهذبة ويرعبه شكل الإنسان المشوّه ، وكذلك زعمه أن صورة الرعب من أهل الكهف بقيت في ذهن النبي ﷺ فكان كلما رأى من هو كث اللحية تذكر شكل أهل الكهف . وكذلك زعمه أن النبي ﷺ لم يستطع صبراً على ذلك - أي على رؤية من هو كث اللحية - فهذا كله من الافتراء على النبي ﷺ وقد تواتر عنه ﷺ أنه قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

الشيء الثاني : تنقصه للنبي ﷺ حيث وصفه بصفة الجبناء وضعاف العقول والقلوب وذلك في زعمه أن صورة الرعب من أهل الكهف بقيت في ذهنه ﷺ وأنه كلما رأى من هو كث اللحية تذكر شكل أهل الكهف ولم يستطع صبراً على ذلك ، يلزم على هذا القول الباطل أن يكون كل واحد من أفراد القراء

أقوى قلباً من النبى ﷺ لأنهم يقرءون قول الله تعالى مخبراً عن أهل الكهف : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ وتتكرر منهم قراءة هذه الآية كلما قرءوا سورة الكهف فلا يصيبهم الرعب من أهل الكهف فضلاً عن أن تبقى صورة الرعب منهم فى أذهانهم . فهل يقول الكاتب الجاهل : إن القراء من هذه الأمة كانوا أقوى قلوباً من النبى ﷺ لأنهم لم يصابوا بالرعب من أهل الكهف . أم ماذا يجيب به عن كلامه السىء الذى لم يتثبت فيه ولم ينظر إلى ما يلزم عليه من اللوازم السيئة التى تفضى بقائلها إلى الكفر ووجوب القتل . فقد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على كفر من تنقص النبى ﷺ أو عابه وعلى وجوب قتله . ذكر ذلك عنهم القاضى عياض فى كتابه « الشفاء » وشيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية فى كتابه « الصارم المسلول ، على شاتم الرسول » وابن حجر المكى فى كتابه « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ، وذكره غيرهم من أكابر العلماء .

وإذا علم هذا فلا يشك مسلم له عقل ودين أن النبى ﷺ كان أقوى البشر قلباً وأرجحهم عقلاً وأبعدهم عن كل ما فيه نقص وعيب ، فلم يلحقه الرعب من أهل الكهف لما أخبره الله عنهم فضلاً عن أن تبقى صورة الرعب منهم فى ذهنه . فهذا لا يتصوره من له أدنى مسكة من عقل ودين .

وبالجملة فإنه يجب تنزيه النبى ﷺ عن النقائص التى ألصقها به الكاتب الجاهل وعن كل ما فيه نقص وعيب ولو بطريق التضمن واللزوم .

والشىء الثالث : قوله فى القرآن بغير علم حيث زعم أن قول الله تعالى مخبراً عن أهل الكهف : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ أن ذلك لشكلهم المخيف بسبب لحاهم التى غطت وجوههم وأظفارهم التى وصلت إلى الأرض ، هكذا قال صاحب المقال الباطل أن لحى أهل الكهف غطت وجوههم وأن أظفارهم وصلت إلى الأرض ، وليس على هذا القول دليل من كتاب ولا سنة ، ولم يذكر ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة العلم والهدى من بعدهم ، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « من قال فى

القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » رواه الإمام أحمد والترمذى وابن جرير والبغوى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، وفى رواية له : « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » قال الترمذى : هذا حديث حسن . قال : وهكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم أنهم شددوا فى هذا فى أن يفسر القرآن بغير علم انتهى .

وقد قال ابن جرير فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ﴾ يقول : لو اطلعت عليهم فى رقدتهم التى رقدوها فى كهفهم لأدبرت عنهم هاربا منهم فاراً ، ولملئت منهم رعباً . يقول : ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعا لما كان الله ألبسهم من الهيبة كى لا يصل إليهم واصل ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه فى الوقت الذى أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لاريب فيها انتهى .

وقال ابن الجوزى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولملئت منهم رعباً ﴾ أى فزعاً وخوفاً وذلك أن الله منعهم بالرعب لئلا يدخل إليهم أحد ، وقيل إنها طالت شعورهم وأظفارهم جداً ؛ فلذلك كان الرائى لهم لو رآهم هرب مرعوباً . حكاه الزجاج . انتهى . وقال الزمخشرى فى الكلام على قوله تعالى : ﴿ ولملئت منهم رعباً ﴾ وهو الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة . وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم انتهى .

وقال البغوى فى الكلام على قوله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ﴾ لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم انتهى .

وقال ابن كثير فى الكلام على قوله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ أى أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضى رقدتهم التى شاء تبارك وتعالى فيهم لما له فى ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة انتهى .

فهذه أقوال أكابر المصنفين فى التفسير فيما يتعلق بأصحاب الكهف ، ولم يذكر أحد منهم أن لحاهم قد غطت وجوههم وأن أظفارهم قد وصلت إلى الأرض ، وإنما ذكر بعضهم قولا ضعيفاً ذكروه بصيغة التمريض أن شعورهم وأظفارهم طالت جداً . وهذا القول لا دليل عليه ولهذا لم يذكره ابن جرير ولا ابن كثير فى تفسيريهما اللذين هما أحسن التفاسير وأبعدها عن الحشو بالأقوال الضعيفة . وإنما ذكرا القول الذى يدل عليه سياق الآية الكريمة وهو أن الله تعالى ألبسهم الهيبة حتى لا يدنو منهم أحد حتى تنقضى رقدتهم التى كتبها الله وقدرها عليهم .

ومما يدل على بطلان القول بأن شعورهم وأظفارهم قد طالت جداً أن الله تعالى منعهم بالمهابة والرعب فى حال رقدتهم فلم يطلع عليهم أحد من الناس ، وعلى هذا فمن ذكر عنهم طول الشعور والأظفار فإنما يقول ذلك عن طريق الظن والتوهم لا عن طريق المشاهدة لهم ورؤية شعورهم وأظفارهم .

ومما يدل على ذلك أيضاً أن الله تعالى لما بعثهم من رقدتهم لم ينكر أحد منهم منظر أصحابه وقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، ولو كانت شعورهم وأظفارهم قد طالت جداً لوقع الإنكار من بعضهم لبعض ، ولما لم يقع ذلك منهم دل على أنهم بعثوا على حالهم وهيئتهم التى كانوا عليها قبل رقدتهم ولم يتغير شىء من شعورهم وأظفارهم .

ومما يدل على ذلك أيضاً أن أصحاب الكهف لما استيقظوا من رقدتهم بعثوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم بطعام منها فلم يستنكر أهل المدينة منظر الرجل

وإنما ستنكروا الدراهم التى كانت معه وظنوا أنه أصابها من كنز قديم . ولو كانت لحيته قد غطت وجهه وكانت أظفاره قد وصلت إلى الأرض كما زعم ذلك صاحب المقال الباطل لرعب أهل المدينة من منظره غاية الرعب وفروا منه ، ولما لم يقع ذلك دل على أن أصحاب الكهف قد بعثوا على حالهم وهيئتهم التى كانوا عليها قبل رقدتهم ولم يتغير شىء من شعورهم وأظفارهم والله أعلم .

الشىء الرابع : افتراؤه على المفسرين وعلى غيرهم من الناس حيث زعم أن منهم من يعتقد أن كثافة اللحية تعنى الإسلام فقط وتعنى أن من لا لحية له مارق زنديق ، قال ولكى تثبت إسلامك عليك بإطلاق لحيتك . وهذا كذب وبهتان ومحاولة للتشنيع على الذين يعفون اللحى ويأمرون بإعفائها وينهون عن حلقها والتمثيل بها . ولا يظن بمسلم له عقل ودين أنه ينفى الإسلام عن الذين يحلقون لحاهم ولا يقول إنهم مارقون زنادقة من أجل أنهم كانوا يحلقون لحاهم ، وإنما يقال إنهم عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ حيث لم يمتثلوا أمر الرسول ﷺ بإعفاء اللحى ومخالفة المجوس الذين يحلقون لحاهم ويمثلون بها ، وقد حذر الله تعالى من مخالفة أمر الرسول ﷺ وتوعد من خالف أمره بأشد الوعيد فقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

الشىء الخامس : استخفافه بأمر الرسول ﷺ بإعفاء اللحى وتسميته ذلك قشراً واهياً يتمسك به جهلة المفسرين ، هكذا زعم الكاتب الجرىء على مخالفة هدى الرسول ﷺ فى اللحى ومعارضة أمره بإعفائها ومخالفة المشركين الذين يمثلون باللحى . وإنه ليخشى على صاحب المقال أن يصاب بزيغ القلب وتقليبه من أجل مجازفته وتهوره فى الكلام الباطل فقد قال الله تعالى ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ .

فأما تجهيله للمفسرين الذين يتمسكون بأمر النبى ﷺ بإعفاء اللحى فهو

به أولى . ومن تأمل مقاله السئ علم أنه من أشد الناس جهلاً وتخبيطاً وأنه يهرف بما لا يعرف .

الوجه الثانى : أن الكاتب قال فى صفة أهل الكهف : إن طولهم متوسط ، وهذا القول لادليل عليه من كتاب ولا سنة وإنما هو من التخرص واتباع الظن وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ﴾ وفى الحديث الصحيح : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . وقد تقدم ما ذكره الزمخشرى من صفات أهل الكهف ومنها عظم أجرامهم ، وهذا القول لادليل عليه أيضاً ولكنه يعارض ما توهمه الكاتب من توسطهم فى الطول .

الوجه الثالث : أن يقال : إن النبى ﷺ لم ير أهل الكهف لا فى حال رقدتهم ولا حينما بعثهم الله من رقدتهم لأنهم كانوا قبل زمان النبى ﷺ بدهر طويل . وإذا كان النبى ﷺ لم يرهم فمن أكبر الخطأ وأقبح ظنون السوء بالنبى ﷺ ما ألصقه به صاحب المقال السئ حيث زعم أنه ﷺ أصيب بالرعب من أهل الكهف وأن صورة الرعب منهم قد بقيت فى ذهنه فكان كلما رأى من هو كث اللحية تذكر شكل أهل الكهف ولم يستطع صبراً على ذلك ، ولا يخفى ما فى هذا القول الوخيم من الجراءة العظيمة على سيد البشر وصفوتهم . والله المسئول أن يقيض للكاتب الجاهل ولأمثاله الذين لا يحترمون النبى ﷺ ولا يوقرونه من ينفذ فيهم الحكم الشرعى الذى يجب اتباعه فى كل من تنقص النبى ﷺ أو عابه وقد قال ابن كثير فى « البداية والنهاية » فى الكلام على قول الله تعالى مخبرا عن أهل الكهف : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ أى لما عليهم من المهابة والجلالة فى أمرهم الذى صاروا إليه ، ولعل الخطاب ههنا لجنس الإنسان المخاطب لابخصوصية الرسول ﷺ كقوله : ﴿ فما يكذبك بَعْدُ بالدين ﴾ أى أيها الإنسان ، وذلك لأن طبيعة البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبة غالباً ، ولهذا قال : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة كما جاء فى الحديث لأن

الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب انتهى . وهو كلام حسن جداً وفيه رد على ما ألصقه الكاتب بالنبى ﷺ من الرعب من أهل الكهف وأن صورة الرعب منهم قد بقيت فى ذهنه ﷺ.

الوجه الرابع : أن يقال : إن الكاتب قد أخطأ خطأ كبيراً فى زعمه أن الله تعالى قال لنبيه حينما بعث أهل الكهف : ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ وهذا من القول فى القرآن بغير العلم ، وقد ورد الوعيد الشديد على ذلك كما تقدم فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما [1] ، وفى أول الآية التى ذكر الكاتب آخرها ما يكفى فى الرد عليه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ فدلت الآية الكريمة على أن أصحاب الكهف إنما ألبسوا الهيبة فى حال رقدتهم لئلا يدنو منهم أحد ، وأنه لو اطلع عليهم أحد فى حال رقدتهم لولّى منهم فراراً ، وملئ منهم رعباً ، فأما بعد بعثهم من رقدتهم فإن الله تعالى أعثر عليهم أى أطلع الناس عليهم وذلك حين بعثوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم بطعام منها ، ولم يذكر عن أهل المدينة أنهم فروا من أصحاب الكهف وأصيبوا بالرعب منهم حين اطلعوا عليهم بعد بعثهم من رقدتهم ، وإذا كان أهل المدينة لم يصابوا بالرعب من أصحاب الكهف حين اطلعوا عليهم بعد بعثهم من رقدتهم فمن باب أولى نفى الرعب عن النبى ﷺ حين أخبره الله تعالى بقصة أصحاب الكهف وتنزيهه عما ألصقه به الكاتب الجاهل بقدره ﷺ .

وقد قال ابن كثير فى الكلام على قول الله تعالى : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ أى أطلعنا عليهم الناس ﴿ ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ وقال ابن كثير أيضاً وقوله : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ أى كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيآتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ﴿ ليعلموا أن وعد الله حق

---

(1) ص ١٣ ، ١٤ .

وأن الساعة لاريب فيها ﴾ وقد ذكر ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما من المفسرين وأصحاب السير والآثار قصة أصحاب الكهف مطولة ، وفيها أبلغ رد على تخرصات الكاتب وإساءة أدبه فيما نسبه إلى النبى ﷺ من الرعب من أصحاب الكهف وأن صورة الرعب منهم قد بقيت فى ذهنه ﷺ .

الوجه الخامس : أن يقال : ليس فى إعفاء اللحية وكثافتها تشويه للإنسان كما قد توهم ذلك صاحب المقال الباطل ، وإنما فيه الجمال للرجال والتفريق بينهم وبين النساء . وإمام أهل اللحى وقدوتهم فى إعفائها رسول الله ﷺ فقد ثبت أنه كان كث اللحية ضخمها عظيمها قد ملأت نحره ، وكان مع ذلك أجمل البشر وأحسنهم وجها وقد قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ .

فأما حلق اللحى فإنه يشوه وجوه الرجال بحيث يصير وجه الشاب شبيها بوجه المرأة الشابة ، ويصير وجه الشيخ شبيها بوجوه العجائز ، وحلق اللحى ونتفها من التمثيل الذى ورد الوعيد الشديد عليه كما فى الحديث الذى رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من مثّل بالشعر فليس له عند الله خلاق » . قال الزمخشرى : قيل معناه حلقه فى الخدود ، وقيل نتفه ، وقيل : خضابه ، وقال ابن الأثير فى « النهاية » فيه أنه نهى عن المثلة ، يقال : مثلت بالحيوان إذا قطعت أطرافه وشوهت به ، قال ومنه الحديث : « من مثّل بالشعر فليس له عند الله خلاق يوم القيامة » مثلة الشعر حلقه من الخدود ، وقيل : نتفه أو تغييره بالسواد ، وكذا قال ابن منظور فى لسان العرب . وقد تقدم ما رواه ابن إسحاق وابن جرير عن يزيد بن أبى حبيب أن رسول الله ﷺ كره النظر إلى المجوسيين اللذين دخلا عليه وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما وقال لهما : « ويلكما من أمركما بهذا » وإنما أنكر عليهما حلق الحية وإعفاء الشارب لأن ذلك يشوه الوجه ويجعله قبيح المنظر .

وإذا علم هذا فليعلم أيضاً أنه لا يستحسن حلق اللحية وإعفاء الشارب إلا

من استزله الشيطان وزين له تشويه وجهه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ وقال تعالى مخبراً عن المخالفين لدعوة الرسل : ﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ ومن حلق لحيته وشاربه أو حلق لحيته وأعفى شاربه أو حلق لحيته فقط فله نصيب من هذه الآية بقدر مخالفته لأمر الرسول ﷺ بإعفاء اللحية وإحفاء الشارب ورغبته عن هديه الذى هو خير الهدى على الإطلاق .

الوجه السادس : أن يقال لصاحب المقال الباطل : إذا كنت ترى أن فى إعفاء اللحية وكثافتها تشويها للإنسان فماذا تقول فى لحية رسول الله ﷺ التى قد ثبت أنها كانت كثة ضخمة عظيمة ، فهل تقول إنها قد شوهت وجهه ، أم ماذا تجيب به عن كلامك الباطل الذى لم تتثبت فيه ولم تنظر إلى ما يترتب عليه من اللوازم السيئة التى قد تفضى بقائلها إلى الخروج من الإسلام ، فاتق الله أيها الكاتب وحاسب نفسك قبل أن تحاسب على أقوالك الباطلة ، وحاول الخروج من المأزق الذى أوقعت نفسك فيه ، ولا تكن من الذين قال الله فيهم : ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ .

فصل

وقال صاحب المقال الباطل : فى هذه الأيام برز جيل من الملتحين لا يعرفون أن الدين المعاملة ويجهلون أن الدين النصيحة ويتناسون أن الإسلام جملة من المحبة والمودة والفضائل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإحسان ، والزكاة ، والصدقة ، وقول المعروف وصلة الرحم والتوادد والتعاون والأخلاق ، لا يعرفون أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ونسوا أن الإسلام ينهى عن التفريق بين المرء وزوجه والأخ وأخيه ، نسوا كل محاسن الإسلام وسلوك الإسلام وتمسكوا باللحية وكأن الإسلام لحية . لا يعرفون أن اللحية تعبر عن الأمة العربية أحسن تعبير ، ونسوا أن أحبار اليهود ورهبان النصارى وكفار قريش والهندوس والشيوعيين يلتحون ، وكذلك البدائيون من الخلق .

والجواب أن يقال : إن صاحب المقال الباطل قد شن الحملة على أهل اللحى وأجلب عليهم بتخليطه الذى حاصله التمويه والتلبيس على ضعفاء البصيرة .

فأما قوله : لا يعرفون أن الدين المعاملة .

فجوابه من وجوه : أحدها أن يقال : ليس الدين المعاملة كما زعمه الجاهل بالدين وإنما الدين الإسلام قال الله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ وقد جاء تفسير الإسلام فى سؤال جبريل للنبى ﷺ حيث قال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال : صدقت . رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه نحوه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «بنى الإسلام على خمس

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصيام رمضان» فهذه أركان الإسلام التى بنى عليها وليست منها المعاملة التى يهذو بها جهلة الكتّاب .

الوجه الثانى أن يقال : لو كان الدين المعاملة كما زعمه الكاتب وكما يزعمه كثير من جهلة الكتّاب فى زماننا لكان أهل الأرض كلهم على الإسلام لأن المعاملة جارية بينهم فى كثير من الأمور الدنيوية كالبيع والشراء والإجارة والمضاربة والمصارفة والإيداع والتوكيل وغير ذلك من المعاملات الجارية بينهم ، ومنها المعاملات الربوية فى البنوك وغيرها ، وكذلك المعاقدات بين الشركات من المسلمين وغير المسلمين وكذلك المعاهدات بين الملوك والرؤساء من المسلمين وغير المسلمين ، ومع وجود المعاملة بين سائر الأمم فإن أكثرهم ليسوا على دين الإسلام ، وبهذا يعلم فساد القول بأن الدين المعاملة .

الوجه الثالث أن يقال : إن المعاملة منها ما هو جائز فى الإسلام ومنها ما هو غير جائز فيه كالمعاملة الربوية والعقود المحرمة ، ويلزم على قول من قال إن الدين المعاملة أن تكون المعاملات الربوية والعقود المحرمة كلها من الدين . وهذا لا يقوله عاقل .

فإن قال الكاتب : إنه يقصد بالمعاملة مخالقة الناس بالخلق الحسن .

فالجواب أن يقال : إن مخالقة الناس بالخلق الحسن أمر حسن جداً وقد أمر النبى ﷺ بذلك حيث قال لأبى ذر رضى الله عنه : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » رواه الإمام أحمد والترمذى والدارمى ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه الإمام أحمد والترمذى أيضاً من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه .

وليعلم أن مخالقة الناس بالخلق الحسن وإن كانت من الخصال الحسنة التى يأمر بها الدين فليست هى الدين ولا يكون المتصف بها مسلماً حتى يلتزم بأركان الإسلام الخمسة . وما أكثر الذين يخالقون الناس بالأخلاق الحسنة وهم مع ذلك ليسوا بمسلمين ، وكثير من دول النصارى يجد المسلمون عندهم من

المخالقة الحسنة مالا يجدونه عند بعض الدول التى تنتسب إلى الإسلام . وهم مع ذلك ليسوا بمسلمين ، وبهذا يعلم فساد قول من قال إن الدين المعاملة .

وأما قوله : ويجهلون أن الدين النصيحة .

فجوابه أن يقال : لابد من تقييد النصيحة بما جاء فى الأحاديث الصحيحة وهى أنها « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائى من حديث تميم الدارى رضى الله عنه ، ورواه الإمام أحمد والنسائى أيضاً والترمذى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وقال الترمذى : حديث حسن صحيح . ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ورواه الدارمى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

وقد قال النووى فى الكلام على هذا الحديث : إن من النصيحة لله تعالى القيام بطاعته واجتناب معصيته ومن النصيحة للرسول ﷺ طاعته فى أمره ونهيه وإحياء طريقته وسنته . ومن النصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، ومن النصيحة لعامة المسلمين تعليمهم ما يجهلونه من دينهم وأمرهم ونهيهم عن المنكر انتهى المقصود كلامه ملخصاً .

وإذا علم هذا فليعلم أيضاً أن من طريقة النبى ﷺ وسنته التى دلت عليها أقواله وأفعاله إعفاء اللحية ومخالفة المشركين الذين يحلقون لحاهم ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان كث اللحية ضخمها عظيمها . وجاء فى عدة أحاديث صحيحة أنه ﷺ أمر أمته بإعفاء اللحى ومخالفة المشركين الذين يحلقون لحاهم فتجب طاعته فى ذلك واجتناب معصيته كما يجب أيضاً التأسى به وإحياء طريقته وسنته وذلك كله من النصيحة لله تعالى ولرسوله ﷺ لأن الله تعالى قد أمر بطاعة الرسول ﷺ فى مواضع كثيرة من القرآن وقرن طاعته بطاعته وحث على اتباعه والتأسى به وحذر من مخالفة أمره وأخبر أن طاعة الرسول طاعة له وعلق الهداية على طاعته فقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول

فقد أطاع الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾.

ومن النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم تعليمهم ما يجهلونه من دينهم . ومن ذلك تعليمهم وجوب إعفاء اللحى وتحريم حلقها وقصها ونتفها .

فأما نصيحة الكفار بعضهم لبعض فى أمور دينهم ودنياهم فليست من الدين فى شىء وكذلك نصيحة الكفار للمسلمين ليست من الدين فى شئ ولكنها حسنة ومحمودة عند العقلاء .

وأما قوله : ويتناسون أن الإسلام جملة من المحبة والمودة والفضائل ـ إلى آخر كلامه ـ

فجوابه أن يقال : إن الإسلام مبنى على خمسة أركان وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ، وقد تقدم ذكر هذه الأركان فى سؤال جبريل للنبى ﷺ وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما المتفق على صحته ، وأعظم أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والشهادة بالرسالة مبنية على أربعة أركان أحدها طاعة أوامر الرسول ﷺ ، وثانيها اجتناب نواهيه ، وثالثها تصديق أخباره ، ورابعها متابعته والتمسك بشريعته، فمن جاء بهذه الأركان الأربعة فقد حقق الشهادة بالرسالة ، ومن ترك العمل بها فليس بمسلم ، ومن أعرض عن شىء منها فهو ممن يشك فى إسلامه ، ومما يدخل فى طاعة أمره ﷺ إعفاء اللحى وإحفاء الشوارب ومخالفة المشركين الذين يحلقون لحاهم ويوفرون شواربهم ، ومن حلق لحيته أو أعفى شاربه فقد عصى أمر الرسول ﷺ وتعرض للفتنة والعذاب الأليم .

فأما ما ذكره الكاتب فليس فيه من أركان الإسلام شيء سوى الزكاة ، وما سوى ذلك ففيه تفصيل ، فأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإحسان والصدقة وقول المعروف وصلة الرحم فهى من أعظم الفضائل التى يحبها الله وليست من أركان الإسلام وإنما هى من مكملات الإيمان ، ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الأمر بما أمر به رسول الله ﷺ من إعفاء اللحى وإحفاء الشوارب والنهى عن توفير الشوارب وحلق اللحى وقصها ونتفها .

وأما المحبة والمودة فإنما تكون لأولياء الله ولا تكون لأعدائه ولا لمن يتولاهم أو يتشبه بهم لقول الله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ وهذه الآية الكريمة تدل على تحريم التشبه بأعداء الله . ويدل على ذلك أيضاً قول النبى ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وإسناده جيد ، وروى الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى » ومن التشبه بأعداء الله تعالى حلق اللحى وتوفير الشوارب لقول النبى ﷺ : « خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب » وقد تقدم هذا الحديث وأحاديث كثيرة فى معناه [1] .

وأما الدليل على أن المحبة والمودة إنما تكون لأولياء الله ولا تكون لأعداء الله تعالى ففى آيات كثيرة من القرآن منها قول الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين

---

(١) ص ٣ .

أعزة على الكافرين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ فأخبر تبارك وتعالى أن رحمة نبيه ورأفته خاصة بالمؤمنين ، وأخبر عنه وعن أصحابه أنهم ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ وقد جاء فى أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ أنه قال : « أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله » وفى هذه الأحاديث مع ماذكر قبلها من الآيات أبلغ رد على الذين يوالون الكفار والمنافقين ويحبونهم .

وأما التعاون فإنما هو مشروع فى أفعال الخير ولا يجوز فى أفعال الشر لقول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وقد ذكر الكاتب كلمة التعاون على وجه الإطلاق الذى يدخل فيه التعاون الذى أمر الله به والتعاون الذى نهى الله عنه . وهذا خطأ وجهل إذ لابد من تقييد التعاون بما أمر الله به من التعاون على البر والتقوى .

وأما الأخلاق فإن الإسلام قد رغب فى محاسنها ونهى عن مساويها وسفسافها ، وقد ذكر الكاتب كلمة الأخلاق على وجه الإطلاق الذى يدخل فيه محاسن الأخلاق ومساويها ، وهذا خطأ وجهل إذ لابد من تقييد الأخلاق بما هو مأمور به ومرغب فيه من التحلى بالأخلاق الحسنة والبعد عن الأخلاق السيئة .

وأما قوله : لا يعرفون أن المسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده .

فجوابه أن يقال : إن التحذير من إطلاق اللسان واليد على المسلمين إنما هو فيما كان من باب الظلم والعدوان . فأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على أيدى المسيئين وأطرهم على الحق فهى من الأمور التى أمر الشارع بها ورغب فيها ، والآيات والأحاديث فى الحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثيرة جداً وليس هذا موضوع ذكرها .

وتغيير المنكر يكون باليد واللسان والقلب كما فى الحديث الصحيح أن

رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وروى مسلم أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً » وفى رواية أبى داود أن رسول الله ﷺ قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو لتقصرنه على الحق قصراً » .

وإذا علم أن تغيير المنكر واجب على حسب القدرة فليعلم أيضاً أن من اقتصر على التغيير بلسانه وهو قادر على التغيير بيده فقد ترك الواجب عليه ومن اقتصر على التغيير بقلبه وهو قادر على التغيير بلسانه فقد ترك الواجب عليه .

وقد يظن بعض الجاهلين أن التحذير من إطلاق اللسان واليد على المسلمين يتناول إنكار المنكرات الظاهرة وتغييرها باليد أو اللسان لمن قدر على ذلك وهذا هو الظاهر من فحوى كلام الكاتب حيث شن الحملة على الذين ينكرون حلق اللحى . وما علم الكاتب وأمثاله من ضعفاء البصيرة أن إعفاء اللحى

فرض وأن حلقها من المنكرات التي يجب تغييرها بحسب القدرة . وما علموا أيضاً أن من ترك تغيير المنكرات وهو قادر على تغييرها فقد تعرض لسخط الله ومقته وأليم عقابه .

وأما قوله : نسوا أن الإسلام ينهى عن التفريق بين المرء وزوجه والأخ وأخيه.

فجوابه أن يقال : إن الإسلام إنما ينهى عن التفريق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه إذا كان كل منهما ملتزما بأحكام الإسلام ، فأما من كان يتسمى بالإسلام وهو مع ذلك يترك الصلاة أو يفعل شيئاً من نواقض الإسلام التى تبيح الدم والمال فإنه يجب التفريق بينه وبين زوجته الملتزمة بأحكام الإسلام ويجب تحذير إخوانه وغيرهم منه حتى يتوب ويلتزم بأحكام الإسلام .

وأما قوله : نسوا كل محاسن الإسلام وسلوك الإسلام .

فجوابه أن يقال : من محاسن الإسلام وسلوك الإسلام إعفاء اللحى والبعد عن مشابهة المجوس وأمثالهم من المشركين الذين يحلقون لحاهم ، والأدلة على أن إعفاء اللحى من محاسن الإسلام وسلوك الإسلام كثيرة جداً ، وقد تقدم ذكرها فى أول الكتاب فلتراجع [1] ، وأما حلق اللحى فإنه من سلوك المجوس ومساوئ أفعالهم ، والمسلم مأمور بمخالفتهم والبعد عن مشابهتهم ، وعلى هذا فالذين يتشبهون بالمجوس فى حلق اللحى هم الذين نسوا محاسن الإسلام وسلوك الإسلام فى إعفاء اللحى والتأسى برسول الله ﷺ فى ذلك والتمسك بهديه وامتثال أمره .

* وأما قوله : وتمسكوا باللحية وكأن الإسلام لحية .

فجوابه أن يقال أما إعفاء اللحية فإنه من خصال الفطرة كما جاء ذلك فى حديث عائشة رضي الله عنها الذى رواه الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن وتقدم ذكره [2] .

والفطرة هى السنة التى كان عليها رسول الله ﷺ وكان عليها الأنبياء والمرسلون من قبله وقد قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم

(١) ص ٣ ـ ٧ . (٢) ص ٣ ٠ ٤

اقتده ﴾ وثبت أن رسول الله ﷺ كان كثير شعر اللحية وأن لحيته كانت كثة ضخمة عظيمة وقد قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ وقال تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ وقد أمر النبى ﷺ أمته بإعفاء اللحى ومخالفة المشركين الذين يحلقون لحاهم وقد قال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ فليحذر الكاتب وأمثاله من المتهاونين بأمر الرسول ﷺ بإعفاء اللحى أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وأما قوله : لا يعرفون أن اللحية تعبر عن الأمة العربية أحسن تعبير ونسوا أن أحبار اليهود ورهبان النصارى وكفار قريش والهندوس والشيوعيين يلتحون .

فالجواب عنه قد تقدم فى أول الكتاب فليراجع (١) .

وأما قوله : وكذلك البدائيون من الخلق .

فجوابه أن يقال : إذا كان الكاتب يرى أن من أعفى لحيته فهو من البدائيين فمعناه أنه يرى أن الراقين هم الذين يحلقون لحاهم . وهذا لا يقوله إنسان يعقل ما يقول ، وقد ذكرت فيما تقدم (٢) أن إعفاء اللحى من سنن الأنبياء والمرسلين وهديهم الذى أمر الله تبارك وتعالى بالاقتداء بهم فيه ، وعلى هذا فهل يقول الكاتب إن رسول الله ﷺ كان من البدائيين لأنه قد أعفى لحيته وأن الأنبياء والمرسلين كانوا بدائيين لأنهم كانوا يعفون لحاهم وأن الراقين هم الأكاسرة وقومهم المجوس ومن يتشبه بهم ويحذو حذوهم فى حلق اللحى وإعفاء الشوارب . أم ماذا يجيب به عن كلامه الباطل الذى لم يتثبت فيه ولم ينظر إلى ما يترتب عليه من اللوازم السيئة التى قد تفضى بقائلها إلى الردة والخروج من الإسلام .

---

(١) ص ٣ - ٧ .　　(٢) ص ٤ - ٦ .

فصل

وقال صاحب المقال الباطل : النبى ﷺ لم يقل ما يفيد بأن اللحية من الإسلام فى شىء. وإنما قال حديثا يزجر به الذين شوهوا مناظرهم بلحاهم الكثة التى كانوا ينتفونها بأيديهم ويقضمون شواربهم بأسنانهم ويشوهون منظرهم الإنسانى الجميل فقال ﷺ ما معناه : يا جماعة هذبوا لحاكم وحفوا شواربكم بالمقص وليس بأسنانكم ، الجهلة اعتقدوا أن هذا هو الحديث الوحيد الذى يرمز إلى إسلام المرء .

ومن حقك إذا أطلقت لحيتك أن تشتم الناس وتكفرهم وتفرق بينهم وتحلل دماءهم ونساءهم .

والجواب أن يقال : إن صاحب المقال الباطل قد تقوّل على النبى ﷺ حيث زعم أنه لم يقل ما يفيد بأن اللحية من الإسلام فى شىء وهذا الزعم الكاذب مردود بأمر النبى ﷺ بإعفاء اللحى وتوفيرها . وقد تقدم ذكر ذلك فى عدة أحاديث صحيحة فلتراجع [1] ، وتقدم أيضاً [2] حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « عشر من الفطرة » وذكر منها قص الشارب وإعفاء اللحية ، والفطرة هى السنة التى كان عليها رسول الله ﷺ وكان عليها الأنبياء والمرسلون من قبله وتقدم أيضاً [3] ما حكاه ابن حزم من الإجماع على أن قص الشارب وإعفاء اللحية فرض ، وفى كل ما تقدم ذكره من الأحاديث والإجماع أبلغ رد على ما فى كلام الكاتب من التقوّل على رسول الله ﷺ ، وما فيه أيضاً من التخبيط والتلبيس على ضعفاء البصيرة .

وأما زعمه أن رسول الله ﷺ قال حديثا يزجر به الذين شوهوا مناظرهم بلحاهم الكثة فهو أيضاً من التقوّل على رسول الله ﷺ وقد تواتر عن النبى ﷺ أنه قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وأما زعمه أن اللحى الكثة تشوه مناظر أهلها فهو من قلب الحقيقة لأن

---

(١) ص ٣ ، ٤ .   (٢) ص ٤ .   (٣) ص ٧ .

الذى يشوه وجوه الرجال على الحقيقة هو التمثيل باللحى بالحلق أو النتف بحيث يصير وجه الشاب شبيها بوجه المرأة الشابة ويصير وجه الشيخ شبيها بوجوه العجائز ، وقد ورد الوعيد الشديد على التمثيل بالشعر وتقدم ذكره فى أثناء الكتاب فليراجع (١) ، فأما إعفاء اللحى فإنه جمال للرجال ولا ينكر ذلك إلا من أعمى الله بصيرته ، وقد جعل الله اللحى فرقاً بين الرجال والنساء ، وقد تقدم فى صفة النبى ﷺ أنه كان كث اللحية ضخمها عظيمها وكان مع ذلك أجمل الناس وأحسنهم منظراً ، وكان يشبه أباه إبراهيم خليل الرحمن ، وتقدم فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام أنه كان كث اللحية . وفى صفة هارون عليه الصلاة والسلام أنه كان يشبه أخاه موسى ، وفى بعض الروايات فى حديث الإسراء أن لحية هارون تكاد تصيب سرته من طولها ، وعلى هذا فهل يقول مسلم عاقل إن النبى ﷺ قد شوه منظره بلحيته الكثة الضخمة العظيمة وأن إبراهيم وموسى وهارون قد شوهوا مناظرهم بلحاهم الكثة العظيمة ، كلاّ لا يقول ذلك من له مسكة من عقل ودين .

وإذا علم هذا فليعلم أيضاً أن أهل اللحى الكثة من المسلمين لهم أسوة بالخليلين وبغيرهما من الأنبياء والمرسلين وقد قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ وقال تعالى : قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

وأما قوله : إن النبى ﷺ قال ما معناه ، يا جماعة هذبوا لحاكم وحفوا شواربكم بالمقص وليس بأسنانكم .

فجوابه أن يقال : هذا من الكذب على رسول الله ﷺ وقد كان النبى ﷺ يأمر بإعفاء اللحى وتوفيرها وذلك ينافى الحق والتهذيب منها .

وأما قوله : إن الجهلة اعتقدوا أن هذا هو الحديث الوحيد الذين يرمز إلى إسلام المرء .

---

(١) ص ١٩ .

فجوابه أن يقال : ليس الكلام الذى ذكره حديثا مروياً عن النبى ﷺ وإنما هو كذب أتى به الكاتب من كيسه وقد قال الله تعالى : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ ولا يظن بأحد له أدنى مسكة من عقل ودين أنه يصدق بالحديث الذى وضعه الكاتب ونسبه إلى النبى ﷺ فضلاً عن أن يعتقد أنه يرمز إلى إسلام المرء فكل هذا من مجازفات الكاتب وتهوره فى كتابة ما يمليه عليه قرينه .

وأما قوله : ومن حقك إذا أطلقت لحيتك أن تشتم الناس وتكفرهم وتفرق بينهم وتحلل دماءهم ونساءهم

فجوابه أن يقال : هذا هذيان يشبه هذيان المجانين ، ولا يكتبه وينشره إلا من هو مصاب فى دينه وعقله .

وهذا آخر ما تيسر إيراده ، والله المسئول أن يرينى وإخوانى المسلمين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وقد كان الفراغ من كتابة هذه النبذة فى يوم الخميس سابع شهر شوال من سنة أربع وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .